

تمهيد وتراجع:

أنهت يومية أمس بقول: "إن شيخي نجيب محفوظ قرر أن يحضر غداً بنشرة إضافية ليهنئنا بالعيد"، لأنني كنت قد شرحت له موقفي، وعجزى عن أن أوصل كتابة الفصل الأول في كتاب الافتراضات الأساسية فرأى أن يعبر بي المأزق بهذه الطريقة، وفعلاً بدأت كتابة مقدمة النشرة اليوم على أنها "في شرف صحبته" هكذا:

الثلاثاء

....السادسة إلا ربيع، استقبلني هاشا باشا كعادته، وإن كان لم يحف دهشته من قدومي اليوم، ليس لأنني بكرت ربع ساعة، ولكن لأنني لا أمر عليه يوم الثلاثاء، سألتني عن زكي سالم وهل اعتذر، قلت له: لا أبداً، أنا الذي جئت أهئك بالعيد، كل سنة وحضرتك طيب، قال: وانت بالصحة والسلامة، لكنك قلت لي أنك مسافر كالعادة، قلت: لم أستطع هذا العيد، أنت تعلم أنني أكتب كتاب الأساس في الطب النفسي، وخصصت له يومي الثلاثاء والأربعاء من نشرات الإنسان والتطور من كل أسبوع، وشعرت أنني لن أتمكن من مواصلة التزامي بذلك لو أنني سافرت، وهو عمل يحتاج مني إلى تركيز آخر، ومراجع، وكلام من هذا، صحيح أنه يكتب في حلقات، لكنه كتاب، قال في رفض حان: "ما هذا؟ ما ذا تقول؟ وهل سافرت أشرت؟ قلت له: طبعاً، كما تعلم، قال: ما هذا؟ إذهب حالا، والحق بهم، قلت له: ولكن ماذا أفعل وأنا لم أكتب نشرة الغد، بعد أن أحللت قصيدة قديمة محل نشرة أمس؟ قال: لا عليك، دعني أعتذر عنك، ولتنشر يومي الغد وبعد الغد عن علاقتنا وأجعلها تهنة مني لأصدقائك، قلت له: يا خير هذا أفضل ألف مرة مما كنت أنوى كتابته، قال: لا ليس هكذا، فأنت تعرف كم أحب ما تكتبه، وسوف نلتقي يوم الخميس، أليس كذلك؟ قلت: طبعاً، إلا الخرافيش.

قبلت يده، ودعوت له، ولم أسمع دعوته لي وأنا أنصرف لكنها وصلتني.

لكن

..... قبل أصل إلى الباب ناداني، وقال: "هل نشرت قبل ذلك قصيدتك المؤلمة عن العيد في نشراتك اليومية هذه، قلت له: لا أظن، لكنني أذكر أنك لم ترض عنها تماماً حين قرأتها عليك، أو هذا ما وصلني، قال: بالعكس برغم ما كان بها من آلام ووحدة، اقترح أن تنشرها ما دمت قد نشرت اليوم قصيدتك "دوائر" قلت له: إيش عرفك؟ قال: وهل هذا سؤال؟ إبحث عنها فإن لم تكن نشرتها فانشرها فهي أنسب، ودعنا نحفظ بنظامنا ونقتصر على نشرة الخميس.

قبلت يده من جديد وانصرفت فرحاً أكثر، وحين عودتي رحت أبحث عن القصيدة التي اقترحها، وإن كانت قد سبق أن ظهرت في هذه النشرات، فوجدت أنني لم أنشر منها إلا مقتطفات في بريد الجمعة،

قبلت اقتراحه وأنا أدعوه مرة أخرى،

وما هي ذى (كتبت منذ حوالى ثلاثين سنة أيضاً):

عيد

-1-

مارتّب مهدى قبل النوم،

بعد النوم.

ما مرّت كفّ حانية - غافلة - فوق الخصلة.

ما أعطاني اللُعبة.

.....

فحملت الآلة،

حذاء بغير علامة.

-2-

ما حاكت لي جلباباً ذا صوت هامس.

لم يمسه الماء الهاتك للأعراض.

لم يتهدّل خيطُـه.

لم تتكسّر أنفاسُـه.

-3-

صدقتُ بأن الماحدث طوال العام،

يأتيني الآن.

لم يأت سوى الطيف الغامض.

-4-

أجرى بين الأطفال وأرتقبُ " العادة ،
ذات بريق وحضورٍ وروائح وكلام .
يقطر ثدي العم رحيق الرضّع .
أتلغ بُلورقة تُدْفنى،
تتمايلُ .

تتأرجحُ مثل الأيام .
تتفتّحُ أكمام الحب الآخرُ،
فأخاف النوم وصباحا يترقَّبُنِي .

-5-

أقف بذيل الصّف وأفرك كَفِّي،
أيديهم فرّحه .
تبحثُ عن ظلّ البسمه ،
وذراعى مبتوره .

تختبئ بثنيات الوعد الميت .
أنزَعُها . . تنزَعُني .
أهربُ من كومة ناسٍ مختلطة .
أخرج من باب الدرب الآخرُ

-6-

دربي بكرُ فوق حصاه تسيل دماءُ القيم العارى .
يتبعنى الناس المثلئى،
ليسُوا مثلى .

مَنْ مثلى لا يسلكُ إلا ذرْبَهُ،
يحفره بأنين الوحده ،
يزرع فيه الخطوات الراسخة الأبقى،
يرويه من بَهر الرؤية " .

تتفتّح أكمامُ العيد بلا موعد .
ذات بريق وحضور وحياءٍ وكلام .

1982/7/21

أول شوال 1402